

دروس وفوائد من آية الكرسي

للشيخ عبد الرزاق البدر

25 مجلسا

المجلس السادس

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدُ الله عزَّ وجلَّ أن منَّ عليّ بتفريغ هذه المجالس العلمية النافعة والتي ألقاها الشيخ عبد الرزاق البدر — حفظه الله — والتي عددها 25 مجلسا حول فوائد آية الكرسي .

كما أودّ أن أنبه إخواني أن الكلمة التي تحتها خط يجب مراجعتها و أن الأحاديث النبوية فهي مكتوبة كما هي مسموعة من الشيخ و أيضاً لا أسمح أن يُعتمد على هذا التفريغ دون مرافقة المادة الصوتية معه أو أن يأذن الشيخ .

هذا وأرجوا من الله سبحانه وتعالى أن يَكْتُب لي الأجرَ قَدَرَ ما يستفيدُ وينتفع به المسلمون من هذا العمل ، ومن سَاهَمَ أيضاً في نشره.

ما جاء في المجلس السادس :

اسمين الله تعالى — الحيُّ القيُّوم — .

وقفه حول اسم الله الأعظم .

وقفه مع دعوة الرسول العظيمة .

التفريغ :

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلّل فلا هاديّ له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

اللهم لا علم لنا إلا ما علّمتنا اللهم علّمنا ما ينفعنا وزدنا علماً وبعد :

أيّها الإخوة الأكارم : إنّ من أعظم ما يكون نفعاً للعبد في صلاح قلبه و زكاء نفسه واستقامته على طاعة ربّه وبُعده عن مُضَلَّاتِ الْفِتَنِ أن يكون على معرفةٍ برّبّه وسَيِّدِهِ وخالقه ومولاه وعلى معرفةٍ بأسمائه تبارك وتعالى وصفاته لأنّ هذه المعرفة لها آثارٌ مباركة وثمارٌ عظيمة وجنّ نافع للعبد في دينه ودُنياه ، وقد قال الله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ فالمسلم كلما ازداد علماً بالله جلّ وعلا وبأسمائه وصفاته وعظمته وجلاله وكماله زاد طاعةً له وتقرباً إليه ومُحافظةً على عبادته وبُعداً عن نواهيه كما قال العلامة ابن القيم — رحمه الله — : ((مَنْ كَانَ بِاللَّهِ أَعْرَفَ كَانَ مِنْهُ

أَخَوْفَ وَإِعْبَادَتِهِ أَطْلَبَ وَعَنْ مَعْصِيَتِهِ أَبْعَدَ)) فمعرفةُ الله جلّ وعلا تزيد العبد خوفاً وخشيةً ورغبةً في العبادة والمُحافظةِ عليها وبُعداً عن كلّ ما نهى الله تبارك وتعالى عنه ، وأسماءُ الله جلّ وعلا مُقتضيةٌ لآثارها من العبوديّة والذلّ والخُضوع والانكسار لله جلّ وعلا .

ونحنُ في درسنا هذا نعيشُ مع أعظم آيةٍ في كتاب الله عزّ وجلّ — آية الكرسي — المُشتملة على توحيد الله وبيان عظمته سُبحانه وتَمَامِ مُلكِهِ وسَعَةِ عِلْمِهِ وإِحاطَتِهِ تبارك

وتعالى بمخلوقاته وعُلُوّه جلّ وعلا عليهم وعظمته وبيان أنه وحده تبارك وتعالى المستحقّ للعبادة ، فهذه الآية العظيمة المباركة اشتملت على توحيد الله جلّ وعلا — العلم والعمل — ، العلم بمعرفة الله ومعرفة أسمائه تبارك وتعالى وصفاته والعمل بتحقيق التوحيد له وإخلاص الدين والبراءة من الشرك ، والله جلّ وعلا خلق الخلق لتحقيق هذين التوحيدين ، أما العلم فذكر الله تبارك وتعالى أنه الغاية من الخلق في آخر آية من سورة الطلاق حيث قال الله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ﴿وَأما التوحيد العملي فذكره في أواخر سورة الذاريات حيث قال الله جلّ وعلا : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ، في الآية الأولى خلق لتعلموا وفي هذه الآية خلق لتعبدوا ، الآية الأولى خلق لتحقيق التوحيد العلمي فيها الدلالة على أن من غاية الخلق أن يُحقّق العباد توحيد الله عزّ وجلّ بمعرفته وإثبات الكمال له والعظمة والجلال ، وفي الآية الثانية بين جلّ وعلا أنه خلق الخلق ليعبدون ولهذا قال العلماء بناءً على هتين الآيتين وغيرهما من آي القرآن أن التوحيد نوعان : — علمي وعملي — ، و آية الكرسي اشتملت على النوعين ، صُدّرت بالتوحيد العملي في قوله : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ثم ذُكر في بقية الآية التوحيد العلمي بدءاً من قوله عزّ وجلّ : ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ، فإذا هي آية تُعلم التوحيد وتُفقه المسلم في هذا الأمر العظيم ومن خلالها يتبين المسلم العقيدة التي خُلق لأجلها والتوحيد الذي أوجِدَ لتحقيقه وهذا هو الحكمة من مشروعية تكرار هذه الآية في اليوم والليلة على وجه الاستحباب والندب مرّات وكُرّات حتى يستذكر المسلم هذا المطلب العظيم والمقصّد الجليل وحتى يتفقه في توحيد الله تبارك وتعالى من خلال هذه الآية المباركة التي هي أعظم آي القرآن شأنًا وأجلّها قدرًا وأرفعها مكانًا .

وقد أشرتُ في درسِ الأمس أن آية الكرسي اشتملت في التعريف بالله جلّ وعلا وبيان عظمته سبحانه على خمسٍ من أسماء الله تبارك وتعالى الحسنى وعلى ما يزيدُ على العشرين

صفة من صفات كماله ونُعت جلاله الدالة على عظمته جلّ وعلا وأَنه سبحانه المُستحقُّ للعبادة دون سواه ، وقد كان الحديثُ بالأَمس عن اسمِهِ تبارك وتعالى — الله — الذي صُدِّرت به هذه الآية حيثُ قال جلّ وعلا : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ، فكان الكلامُ بالأَمس عن معنى هذا الاسم الجليل ، وذكرتُ تفسيرَ ابنِ عَبَّاسٍ — رضي الله عنهما — لهذا الاسم حيثُ قال — رضي الله عنه — : ((**الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين**)) فجمعَ — رضي الله عنه — في هذا التعريف البين بين أمرين يدلُّ عليهما هذا الاسم وهما : الألوهية التي هي وصفُ الله تبارك وتعالى والعبودية التي هي فعلُ العبد والتي يقتضيها إيمانُ العبد بهذا الاسم الجليل ، ومضت الإشارةُ إلى أَنَّ هذا الاسم إليه ترجع أسماءُ الله وإليه تُضاف فيُقال : ((**الرحمن الرحيم**)) ، ((**العزیز الحكيم**)) ، ((**الرؤوف الخبير**)) من أسماءِ الله ولا يُقال الله من أسماء الرحمن أو الله من أسماء العزيز ، فالأسماءُ تُضافُ إلى هذا الاسم وإليه ترجع ، وقد قال الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ .

وسيكونُ الحديثُ في هذه الليلة عن اسمين من أسماء الله الحُسنى ذُكرا في هذه الآية وهما : ((**الحيُّ القيوم**)) حيثُ قال الله جلّ وعلا : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وقد جمعَ الله تبارك وتعالى بينَ هذينِ الاسمين في ثلاثِ آياتٍ من القرآن الكريم : الأولى منها هذه الآية — آية الكرسي — والثانية أولُ سورة آل عمران حيثُ قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **الم * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾ والآية الثالثة في سورة طه حيثُ قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا** ﴾ فهذه ثلاثُ آياتٍ في القرآن الكريم ذُكر فيها هذانِ الاسمان : ((**الحيُّ القيوم**)) واسمُ الله تبارك وتعالى — القيوم — لم يُذكر في القرآن إلا هذه الثلاث المرات — في الآيات الثلاثة المشار إليها —

وأما اسمه — الحيّ — فقد ذُكر في القرآن خمسة مرّات منها هذه الثلاث ومنها آيتان ذُكر فيها هذا الاسم مفرداً غير مقرونٍ باسمه — القيّوم — في قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ وقوله تبارك وتعالى : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ وعليه فاسمه تبارك وتعالى — الحيّ — ذُكر في القرآن خمسة مرّات واسمه — القيّوم — ذُكر في القرآن ثلاثة مرّات .

وهذان الاسمان هما من أسماء الله الحسنى وأسماء الله تبارك وتعالى كلّها حسنى ، وقد عرفنا بالأمس الضابط في هذا الباب ألا وهو أن وصفَ أسماء الله تبارك وتعالى بِأَئِهَا حُسْنِي أي : لِكُونِهَا دَالَّةٌ عَلَى ثُبُوتِ صِفَاتِ الْكَمَالِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فلو لم تكن دالةً على صِفةٍ لم تكن حُسْنِي ولو كانت دالةً على صِفةٍ ليست صِفةَ كَمَالٍ لم تكن حُسْنِي ، فهي حُسْنِي لدلالِتها على صِفَاتِ الْكَمَالِ وَتُعُوتِ الْجَلَالِ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ مُبَارَكَةٌ وَضَابِطٌ نَافِعٌ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ وقوله تبارك وتعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ .

فأسماءُ الله تبارك وتعالى كلّها حُسْنِي أي : بِالْعُذَّةِ فِي الْحُسْنِ تَمَامُهُ وَكَمَالُهُ وَهِيَ دَالَّةٌ عَلَى ثُبُوتِ صِفَاتِ الْكَمَالِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَلِأَجْلِ هَذَا يَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ مِنْ إِيمَانِكَ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى أَنْ تُؤْمِنَ بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ لَا أَنْ يَكُونَ الْإِيمَانُ بِهَا إِيمَانٌ بِالْإِسْمِ مُجَرِّداً دُونَ بِمَعْرِفَةٍ بِدَلَالَتِهِ وَدُونَ دِرَايَةٍ بِمَعْنَاهُ ، وَقَدْ عَرَفْنَا أَيْضاً بِالْأَمْسِ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — الْمَخْرَجَ فِي الصَّحِيحِينَ : ﴿ إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ﴾ أَنْ إِحْصَاءَ أَتْسَامِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَكُونُ بِأُمُورٍ ثَلَاثَةٍ : حِفْظُ الْإِسْمِ وَفَهْمُ مَعْنَاهُ وَالْعَمَلُ بِمُقْتَضَاهُ ، فَبِهَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ يَكُونُ الْإِحْصَاءُ لَا بِمَعْرِفَةِ الْإِسْمِ أَوْ حِفْظِهِ فَقَطْ بَلْ لِأَبَدٍ مِنْ حِفْظِ الْإِسْمِ وَفَهْمِ مَعْنَى الْإِسْمِ وَالْعَمَلِ بِمَا يَقْتَضِيهِ الْإِسْمُ مِنْ عِبُودِيَّةٍ وَخُضُوعٍ وَتَذَلُّلٍ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَكُلُّ اسْمٍ مِنْ أَتْسَامِ اللَّهِ مُقْتَضٍ لِعِبُودِيَّةٍ هِيَ مِنْ

مُوجِبَاتِ هَذَا الْاسْمِ وَمِنْ مُقْتَضِيَاتِ الْإِيمَانِ بِهِ وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ مُتَحَقِّقٌ لِلْعَبْدِ إِلَّا بِالْفِقْهِ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَمَعْرِفَةِ مَعَانِيهَا وَدَلَالَاتِهَا وَقَوْلُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : ﴿ مِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ﴾ يَتَنَاوَلُ تَنَاوُلًا أَوَّلِيًّا الْفِقْهَ الْأَكْبَرَ الَّذِي هُوَ فِقْهُ التَّوْحِيدِ وَمَعْرِفَةُ اللَّهِ وَمَعْرِفَةُ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ ، وَبِهَذَا نُدْرِكُ الْخَطَأَ الَّذِي عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ عَوَامِ الْمُسْلِمِينَ بِالْإِنْصِرَافِ عَنْ هَذَا الْعِلْمِ الْمُبَارَكِ الَّذِي فِيهِ هِدَايَةُ الْقُلُوبِ وَصَلَاحُ النَّاسِ وَثَبَاتُ الْأَمْرِ وَالْبُعْدُ عَنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ لِأَنَّ مَعْرِفَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هِيَ الَّتِي تُحَقِّقُ لِلْعَبْدِ الْخَيْرَ وَتُوجِبُ لَهُ الْجَنَّةَ كَمَا قَالَ نَبِيُّنَا — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — : ﴿ مِنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ﴾ .

((الْحَيُّ الْقَيُّومُ)) : هَذَانِ اسْمَانِ ذُكِرَا فِي آيَةِ الْكَرْسِيِّ ، وَاسْمُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى — الْحَيُّ — يَدُلُّ عَلَى ذَاتِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَيَدُلُّ عَلَى ثُبُوتِ صِفَةِ الْحَيَاةِ لَهُ جَلَّ وَعَلَا ، فَالْحَيُّ يَدُلُّ عَلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَإِذَا قِيلَ : — يَا حَيُّ — أَوْ قِيلَ — عَبْدُ الْحَيِّ — أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ فَهَذَا اسْمٌ يَدُلُّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ وَخَالِقِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ ، وَهُوَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ يَدُلُّ عَلَى ثُبُوتِ الْحَيَاةِ صِفَةً لَهُ وَلِهَذَا قَالَ الْعُلَمَاءُ : ((أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى أَعْلَامٌ وَأَوْصَافٌ)) أَعْلَامٌ بِاعْتِبَارِ دَلَالَتِهَا عَلَى ذَاتِ اللَّهِ وَأَوْصَافٌ بِاعْتِبَارِ دَلَالَتِهَا عَلَى الْمَعَانِي ، فَاسْمُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى — الْحَيُّ — يَدُلُّ عَلَى ثُبُوتِ الْحَيَاةِ صِفَةً لَهُ ، وَالصِّفَةُ إِذَا أُضِيفَتْ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا فَإِنَّهَا تَخُصُّهُ سُبْحَانَهُ وَتَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ وَعَظَمَتِهِ ، وَمِنْ الْقَوَاعِدِ الْمُتَقَرَّرَةِ هُنَا أَنَّ الْإِضَافَةَ تَقْتَضِي التَّخْصِيصَ فَمَا يُضَافُ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا يَخُصُّهُ وَيَلِيْقُ بِجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ وَمَا يُضَافُ إِلَى الْعَبْدِ يُخْصُّ الْعَبْدَ وَيَلِيْقُ بِضَعْفِهِ وَنَقْصِهِ ، وَاتَّفَاقُ الْأَسْمَاءِ لَا يُلْزَمُ مِنْهُ اتَّفَاقُ الْحَقَائِقِ وَالْمُسَمِّيَّاتِ ، فِي هَذِهِ الْآيَةِ سَمَّى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نَفْسَهُ — الْحَيُّ — وَفِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ سَمَّى عِبَادَهُ بِهَذَا السَّمِّ ، لَكِنَّ الْحَيَّ الَّذِي هُوَ اسْمُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَاصٌّ بِهِ لَا سَمِيًّا لَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ وَالْحَيَاةُ الَّتِي هِيَ مُضَافَةٌ إِلَى الْعَبْدِ خَاصَّةٌ

بهم تليقُ بضعفهم ونقصهم وعجزهم وفقيرهم وحاجتهم ، فلا يلزم من اتفاق الاسمين اتفاق الحقائق والمسميات فالإضافة تقتضي التخصيص .

وحياة الله جلّ وعلا التي دلّ عليها اسمه — الحيّ — هي حياة كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه ، حياة ليست مسبقةً بعدم ولا يلحقها فناء كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ ﴾ قال نبينا عليه الصلاة والسلام في دعائه : ﴿ اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ ﴾ فهو سبحانه وتعالى حيّ حياة كاملة ليست مسبقةً بعدم ولا يلحقها فناء ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ ، ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ، ومرّ معنا قوله تبارك وتعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ فالله تبارك وتعالى حيّ حياة كاملة لم تُسبق بعدم ولا يلحقها فناء ولا يعترينا نقص ممّا يعترى حياة المخلوقين ، فالمخلوق يعترى حياته من النقص بما يناسب حاله وكونه مخلوقاً ، فهو حيّ ولكنه ينام وينعس ويتعب وينصب وتُصيبه الأهواء ويلحقه الموت والضعف والعجز إلى غير ذلك من الأوصاف التي هي مُلازمة لحياة المخلوقين ، فهذه الصفات هي مُختصةٌ بحياة المخلوق أمّا الله تبارك وتعالى فحيّاته حياة كاملة ولهذا قال في آية الكرسي : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ والسنة هي : النعاس الخفيف وبدايات النوم والنوم معروف ، والسنة والنوم اللذان يعتريان حياة الإنسان سببهما ضعفه وحاجته ونقصه وأنه يتعب وينصب فيفتقر إلى النوم ليعود إليه نشاطه ولتجدد له قوّته ولا يستطيع أن يبقى نشيطاً إلا بالنوم والراحة وينام في حياته نوماً طويلاً ، لو تتأمل في مقدار النوم الذي يكون من الإنسان في حياته إذا جُمع نومه باعتبار مدّة ما عاش في هذه الحياة تقف على رقم عجيب ، إذا كان الإنسان ينام النوم الطبيعي كما يقولون ثمان ساعات في اليوم واللييلة أي : ثلث الأربعة والعشرين ساعة ثلث اليوم واللييلة ، إذا كان ينام هذا النوم الطبيعي في حياته وكان عُمره ستين سنة كم سنة في حياته نام ؟ عشرين سنة ، إذا كان عُمره ستين سنة فمعنى ذلك أنّه نام في حياته

عشرين سنة — أمضى عشرين سنة وهو نائم — لكنّها ذهبت مُفرّقة في حياته فلم يشعر بهذه السنوات الطويلة التي نامها لأنّها مضت في حياته مُفرّقة مقطّعة ، ينام في اليوم ثمان ساعات أو تسع أو سبع ثمّ تجتمع إذا بلغ عُمره الستين أو السبعين تجتمع سنوات طويلة جداً ، هذه السنوات الطويلة التي ينامها الإنسان لا يستطيع أن يمضي في حياته نشيطاً يُمارس شؤونه وأعماله إلا بهذا النوم ، فالنوم ضَعف وحاجة وفقر ويدلُّ على نقص الإنسان ، فهذه حياة الإنسان حياةً يعترها النوم والضعف والعجز والفاقة والفقر والمرض والسقم إلى غير ذلك ، والله تبارك وتعالى له جلّ وعلا الحياة الكاملة قال : ﴿ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ لا السّنة التي هي أوّل النوم ولا النوم لأنّ هذا من النقص ومن الافتقار ومن الحاجة والله تبارك وتعالى له صفات الكمال ونُعوت الجلال عزّ وجلّ وتترّ عنه النقص والعيب سبحانه وتعالى ، وقد قال نبينا عليه الصلاة والسلام كما في صحيح مسلم وهو يُثني على الله عزّ وجلّ ويُمجّده قال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ وَيُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ اللَّيْلِ ﴾ هكذا قال صلوات الله وسلامه عليه ، فهو جلّ وعلا حيّ لا يموت حيّ لا ينام لا تأخذه سنة ولا نوم .

ولهذا هذا الربّ العظيم الموصوف بهذه الحياة الكاملة التي تستلزم صفات الكمال ونُعوت الجلال هو الذي يُتوكّل عليه وحده دون سواه ، واقرأ هذا وتأملّه وتدبّره في قوله تبارك وتعالى في سورة الفرقان : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾ فالتوكّل والاعتماد وتفويض الأمور والالتجاء وطلب التوفيق والسداد والهداية لا يُلتجأ فيه إلا إلى الحيّ الذي لا يموت ، وكذلك العبادة ذلّ الإنسان وخضوعه وقيامه بالعبادة بأنواعها من صلاة وصيام وحجٍّ وإحسانٍ وغير ذلك كلّ هذه الطاعات لا يجوز أن يُقصد بها أحدٌ سوى الحيّ الذي لا يموت ، وتأمل هذا وتدبّره في قوله تبارك وتعالى : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ إيمانك بأنّه هو

الحَيِّ الحَيَاةَ الكاملةَ التي لا يعترِها نقص المُستلزمة لصفات الكمال يجعلُك لا تخضع إلا له ولا تقصد بالعبادة إلا وجهه ولا تتوكل إلا عليه ولا يلتجأ إلا إليه ولا تصرف شيئاً من العبادة والطاعة إلا له ، وبهذا يتبين ضلالُ عقولٍ من صرفوا العبادة لغير الله ، من صرفوا التوكل لغير الله ، من صرفوا الدعاء لغير الله ، من صرفوا الرجاء لغير الله ، من صرفوا التذلل والخشوع لغير الله ، أين عقول هؤلاء ألم يقرؤوا قول الله تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ ألم يقرؤوا قول الله تعالى : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ ومن تُصرف له العبادة غيرُ الله تبارك وتعالى لا يخلوا من أمور : إمّا حيٌّ يموت أو ميّت ليس بحيٍّ أو جمادٌ لا حياة له أصلاً ، إمّا حيٌّ يموت ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ ، ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ ، ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ ، سيعتم عن خطبة صديق الأُمّة — رضي الله عنه — عندما مات رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قام خطيباً في الناس وبينهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ميّت لم يُدفن بعد فقال في خطبته العظيمة : ((مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوت)) العبادة لا يلتجأ فيها إلا للحَيِّ الذي لا يموت لا يلتجأ فيها إلا لله تبارك وتعالى أمّا الحَيِّ الذي يموت والحَيِّ الذي قد مات والجماد الذي ليس له حياة أصلاً كلُّ هؤلاء لا يستحقّون من العبادة شيء والدليل ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ وانتبه هنا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ هُوَ الْحَيُّ ﴾ هذا الوصف المضاف إلى الله المختص به هل يشترك فيه أحدا ؟ هل تعلم له سَمِيّاً ؟ يقول الله جلّ وعلا : ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً ﴾ ويقول جلّ وعلا : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ويقول جلّ وعلا : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ فهذه الحياة المُضافة إلى الله حياةٌ مُختصةٌ به ، إذا عرفناها عرفنا كمال الله وجلاله وجماله وعظمته بل قال العلماء : إنّ هذه الحياة المُضافة إلى الله جلّ وعلا دالةٌ على جميع صفات الكمال وجميع صفات الله تبارك وتعالى الذاتية تدلُّ عليها هذه الصفة ، فوصفه تبارك وتعالى — الحَيِّ — يدلُّ على ثبوت السمع له وثبوت

البصر وثُبوت الإرادة وثُبوت المشيئة وثُبوت الرحمة إلى غير ذلك من أوصاف — الحيّ — وأوصاف الكمال — للحيّ — فاسمُهُ تبارك وتعالى — الحيّ — يدلُّ على صفات الكمال وتُعوت الجلال ، فإذا عرفَ العبد هذا الاسم العظيم وحقق الإيمان به لم يصرف شيئاً من العبادة إلا لله جلّ وعلا ، وتأمّل هذا المعنى في آية الكرسي نفسها قال تعالى : ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ﴾ أي : لا معبود بحقِّ سِواه ومن أعظم دلائل أنّه المعبود ولا معبود بحقِّ سِواه — الحيّ — كونه تبارك وتعالى — الحيّ — الحياة الكاملة التي لا يعترها نقص ، أمّا حياة المخلوقين حياة ناقصة ، الإنسان قبل وجوده كان عدماً ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾ ثم حياته يلحقها الفناء ويعترها الضعف ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً﴾ حياة ناقصة وضعيفة مسبوقة بالعدم يلحقها الفناء ، حتى حياة العبد يوم القيامة التي كتب الله سبحانه وتعالى فيها لأهل الإيمان بأن يحيا في الجنة فلا يموتون ولأهل النار أن يبقوا فيها أبد الآباد فلا يموتون لا يُقضى عليهم فيموتوا ، هذه الحياة ليس حياة ذاتية تقتضيها ذات حياتهم وإنّما هي حياة بتدبير الله وتسخيرِه جلّ وعلا أمّا حياة الله فهي وصف ذاتي له قائم به سبحانه وتعالى فهو عزّ وجلّ لم يزل ولا يزال حياً سميعاً بصيراً عليمّاً رحيمّاً غفوراً تبارك وتعالى ، فاسمُهُ جلّ وعلا — الحيّ — يدلُّ على صفات الكمال من السمع والبصر والعلم والإرادة والمشيئة وغير ذلك من صفات الكمال للربّ عزّ وجلّ .

واسمُهُ تبارك وتعالى — القيّوم — وهو الاسم الثاني ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ هو من أسماء الله الحُسنى ، وهذا الاسم العظيم يدلُّ على معنيين ويدلُّ على أمرين وقد أشرتُ إلى قاعدة بالأمس أنّ من أسماء الله تبارك وتعالى ما يدلُّ على صفةٍ مُفردة ومنها ما يدلُّ على أكثر ، واسم الله تبارك وتعالى — القيّوم — يدلُّ على أمرين : الأمر الأول يدلُّ على أنّه تبارك وتعالى القائم بنفسه جلّ وعلا ، والأمر الثاني يدلُّ على قيامه تبارك وتعالى بشؤون خلقه تسخيراً وتدبيراً ، فالقيّوم أي : القائم بنفسه الغني عن من سِواه ، وقيامه بنفسه جلّ وعلا

يقتضي غناه عن كل من سواه ، وقيامه تبارك وتعالى بغيره يقتضي افتقار كل من سواه إليه ولهذا اسمه — القيوم — يدل على أمرين : الأول قيامه بنفسه وهو يدل على كمال غناه سبحانه وتعالى ويدل على قيامه بخلقه وهذا فيه الدلالة على كمال قدرته سبحانه وتعالى ، فاسمه — القيوم — يدل على كمال الغنى وكمال القدرة ، كمال الغنى التي دل عليها اسمه تبارك وتعالى — القيوم — من جهة دلالة هذا الاسم على قيام الرب سبحانه وتعالى بنفسه فهو القائم بنفسه الغني عن خلقه ، وفي القرآن والسنة من الدلائل على ذلك الشيء الكثير ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ وفي الحديث القدسي يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَن تَبْلُغُوا نَفْعَ فَتَنْفَعُونِي وَلَن تَبْلُغُوا ضَرًّا فَتَضُرُّونِي ﴾ وفي الحديث نفسه يقول تبارك وتعالى : ﴿ يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا ، وَلَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا ﴾ فهو غني تبارك وتعالى غني عن من سواه لا تنفعه طاعة من أطاع ولا تضره معصية من عصى ، وفي العبادة التي خلق الله تبارك وتعالى الخلق لأجلها ذكر الله عز وجل هذا الأمر قال : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ وفي آية أخرى قال : ﴿ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ لأنه تبارك وتعالى الغني القائم بنفسه ، فهو غني عن خلقه من كل وجه وخلقه فقراء إليه من كل وجه لا غنى لهم عنه طرفة عين .

فاسم الله تبارك وتعالى — القيوم — يدل على هذين المعنيين : المعنى الأول قيامه تبارك وتعالى ونفسه وهذا فيه دلالة على كمال غناه عز وجل ، والمعنى الثاني يدل على قيامه بخلقه تسخيراً وتديباً وفي هذا دلالة على كمال قدرته ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ قدرته تبارك وتعالى شاملة لكل شيء ومشيتته تبارك وتعالى نافذة ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ فهو القائم بخلقه سبحانه وتعالى تسخيراً وتديباً ، ولهذا

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾ ويقول جلّ وعلا : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلُوبُ سَمُوهُمْ ﴾ ويقول الله تبارك وتعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾

انظر هذه الشهادة من خير شاهد لأعظم مشهود به شهادة الربّ العظيم لنفسه بالتوحيد وقيامه بالقسط ، قائماً بالقسط أي : في أحكامه تبارك وتعالى الكونية وأحكامه سبحانه وتعالى الشرعية الدينية ، وهو جلّ وعلا لا يظلم أحداً لا يظلم الناس مثقال ذرة ، وقد مرّ معنا قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا * وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ وهذه الآية تُشير إلى انقسام الناس يوم القيامة إلى فريقين عندما يقفون هذا الموقف الذي وصفه الله عزّ وجلّ هذه الصفة ﴿ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ ﴾ أي : ذلّت وخضعت ، انظر إلى ذكر هذين الاسمين : ﴿ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ عنت الوجوه للحَيِّ الذي له الحياة الكاملة الذي لا يموت ، القَيُّوم القائم بنفسه القائم بنفسه بشؤون خلقه تبارك وتعالى ، عنت أي : ذلّت وخضعت ، ثمّ وجوه الناس يوم القيامة تنقسم إلى قسمين : وجوه خائبة — والعياذ بالله — وجوه تأتي يوم القيامة خائبة قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ يأتي يوم القيامة يحمل ظلمه على كتفه وظهره ، يأتي يوم القيامة يحمل وزره ، قد جاء في صحيح البخاري أنّ النبي عليه الصلاة والسلام ذكر يوماً الغُلُول وعظم أمره والغُلُول أخذ المال بغير حقّ فخطب الناس عليه الصلاة والسلام وقال عليه الصلاة والسلام في خطبته : ﴿ لَا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ يَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَغْنَيْنِي فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئاً قَدْ أَبْلَغْتُكَ ، لَا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى رَقَبَتِهِ شاةٌ لَهَا تُغَاءٌ فَيَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنَيْنِي فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئاً قَدْ أَبْلَغْتُكَ ، لَا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حِمَمَةٌ فَيَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغْنَيْنِي فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئاً قَدْ أَبْلَغْتُكَ ، لَا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفُقُ — مظالم للناس وحقوق —

فيقول يا رسول الله أغثني فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك ، لا يأتيَنَّ أحدكم يوم القيامة وهو يحمل على رقبته صامِت — والصامِت هو الذهب والفضة — فيقول يا رسول الله أغثني فأقول : لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك ﴿ نصحَ عليه الصلاة والسلام وحذر وأندر ، فوجوه تأتي يوم القيامة خائبة لأنها تحمل مظالم ولهذا قال الله عز وجل : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ أي : خاب وخسر من يأتي يوم القيامة وهو يحمل على كتفه المظالم ويحمل على ظهره ورقبته المظالم وكل المظالم التي وقعت منه يأتي بها لا يضيع منها شيء ، والمظالم في ذلك اليوم يقول : ﴿ يَا وَيَلَّتْنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ ، ﴿ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ هذا قسم ، والقسم الآخر من الله علينا أجمعين بأن نكون منهم ، قال : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ لا يخاف ظُلماً فإن الله عز وجل عدل لا يظلم ، ولا يخاف هضمًا أن يُخس شيئاً من حسناته أو شيئاً من طاعاته بل يُوفَّ أجره كاملاً غير منقوص ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ .

فاسمه تبارك وتعالى — القيوم — يدلُّ على قيامه تبارك وتعالى بنفسه وقيامه بخلقه ، قيامه بخلقه يشمل السموات والأرض كما مر معنا : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾ وفي آية أخرى يقول عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ وقال عز وجل : ﴿ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ فهو سبحانه وتعالى المُسَكِّ للعرش والكرسي وللسموات وللأرض بقدرته سبحانه وتعالى ، وتأمل هذا المعنى في آية الكرسي في بيان قُيُومِيَّتِهِ سبحانه وتعالى حيث قال عز وجل : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ﴾ أي : لا يُثْقِلُهُ ولا يُكْرِهُهُ حِفْظُ السماوات والأرض ، فهذا كله

من دلالات هذا الاسم العظيم ، أيضاً قيامه بالخلق وقيامه بالناس : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ قيامه بشؤون المخلوقات تسخيراً وتديراً كل يوم هو في شأن يخفض ويرفع ويقبض وييسط ويعطي ويمنع ويحي ويميت ويعز ويذل ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ هذا كله من قيوميته ، ومن قيوميته قوله عز وجل : ﴿ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات والنصوص التي تدل على كمال قدرة الله سبحانه وتعالى وقيامه بمخلوقاته تسخيراً وتديراً وتصريفاً ، فمن كان هذا شأنه ومن كان هذا وصفه هو الذي يخضع له ويذل وتصرف له جميع أنواع العبادة .

ثم إن هذين الاسمين — الحي القيوم — قد جُمع كما مرّ في ثلاث آيات من القرآن سبق إيرادها وقد ذكر غير واحد من أهل العلم في ذكر هذين الاسمين مجتمعين في أكثر من آية : أن اجتماعهما يدل على كمال عظيم في الله جلّ وعلا حيث إن اجتماع هذين الاسمين — الحي القيوم — الحي الذي يدل على كمال الحياة والقيوم الذي يدل على كمال الغني والقدرة ، قال أهل العلم : إلى هذين الاسمين ترجع جميع الصفات ، فالصفات الذاتية ترجع إلى اسمه الحي والصفات الفعلية ترجع إلى اسمه القيوم ، ولهذا ذهب بعض أهل العلم ومنهم ابن القيم — إلى هذين الاسمين — الحي القيوم — ، ولهذا ذهب بعض أهل العلم ومنهم ابن القيم — رحمه الله — أن الحي القيوم هو اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سُئِلَ به أعطى ، والمسألة فيها خلاف معروف بين أهل العلم ، منهم من قال الاسم الأعظم هو اسمه — الله — ومنهم من قال — الحي القيوم — ومنهم من قال — الصمد — ومنهم من قال غير ذلك ، فأقوال أهل العلم متعددة ، وقد جاء في الحديث حديث أنس بن مالك — رضي الله عنه — أن النبي — صلى الله عليه وسلم — سمع رجلاً يقول في دُعائه : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت يا مَنان يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال

والإكرام يا حيّ يا قيّوم ، فقال عليه الصلاة والسلام : ﴿ لَقَدْ سَأَلَ اللَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمَ
الذي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ ﴾ وجاء في حديثٍ آخر أنّه عليه الصلاة
والسلام قال : ﴿ اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي آيَةِ الْكَرْسِيِّ وَأَوَّلُ آلِ عِمْرَانَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ
الْقَيُّومُ ﴾ ولأجل هذا قوّى بعض أهل العلم أنّ الحيّ القيّوم هُما اسم الله الأعظم ويقول
ابن القيم — رحمه الله — : كثيراً ما كان ابن تيمية يلهج في دُعائه ب : لا إله إلا أنت يا
حيّ يا قيّوم ، وهذا مُستفاد من حديث أنس المتقدم لما سمع النبي عليه الصلاة والسلام
الرجل يقول : اللهمّ إني أشهد أنّ لك الحمد لا إله إلا أنت ، وفي آخر قال : يا حيّ يا
قيّوم ، بل يقول ابن القيم — رحمه الله — أنّ شيخ الإسلام بن تيمية يقول : أنّ الإيمان
بهذين الاسمين وتحقيق الدعاء بهما والإيمان بما دلّا عليه من أعظم أسباب حياة القلوب ،
وفِعلاً حينما تتفكّر وتتأمّل في الآيات التي جاء فيها ذكرُ اسم الله تبارك وتعالى — الحيّ —
في القرآن الكريم وهي خمس آيات كلّها تدلُّ دلالةً واضحة على أثر هذا الاسم في حياة
القلوب وكذلك أثر اسمه — القيّوم — في حياة القلوب ، ولا تحي القلوب إلا بالتدبّر
والتأمّل في عظمة الله وجلاله وكماله ، والقلب لا يحي إلا بالتوحيد كما قال الله تعالى :
﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ فلا يحي إلا بتوحيد الله وإخلاص الدين له والاستجابة لله
وللرسول عليه الصلاة والسلام ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ
لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ وأعظم ما دَعَا إليه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من أجل أن يحي
العبد الحياة الطيّبة الكريمة أعظم ما دَعَا إليه التوحيد ، وآية الكرسي هي أعظم آيات
التوحيد ولما صُدّرت بالتوحيد ذكر في مُقدّمة براهين التوحيد — الحيّ القيّوم — فدلّ
ذلك دلالةً واضحة على أنّ الإيمان بهذين الاسمين من أعظم ما تحي به القلوب توحيداً
وإخلاصاً لله تبارك وتعالى وتذللاً وقياماً بأمره ، ومرّ معنا أيضاً قول الله تبارك وتعالى : ﴿ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ .

ثمَّ إِنِّي أَخْتِمُ حَوْلَ دَلَالَةِ اسْمِهِ — الْحَيِّ — بِدَعْوَةٍ عَظِيمَةٍ كَانَ يَدْعُوا بِهَا رَسُولُ اللَّهِ —
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فِيهَا التَّوَسُّلُ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهَذَا الْاِسْمِ الْعَظِيمِ — الْحَيِّ —
وَأَيْضاً فِي هَذِهِ الدَّعْوَةِ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى الْآثَارِ الْمُبَارَكَةِ وَالْعُبُودِيَّاتِ الَّتِي يَمْتَنِعُهَا إِيمَانُ
الْعَبْدِ بِهَذَا الْاِسْمِ الْعَظِيمِ فَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِينَ — الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ — عَنِ النَّبِيِّ — صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ : ﴿اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ
تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي فَأَنْتَ الْحَيُّ
الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ﴾ هَذِهِ الدَّعْوَةُ مَعَاشِرَ الْإِخْوَةِ الْكَرَامِ شَأْنُهَا عَظِيمٌ
وَفَوَائِدُهَا لَا حُدَّ لَهَا وَلَا عَدَّ وَجَمَعَتْ هَذِهِ الدَّعْوَةُ الْخَيْرَ كُلَّهُ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَهِيَ تُبَيِّنُ
أَثَرَ إِيمَانِ الْعَبْدِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَصِفَاتِهِ فِي تَحْقِيقِ الْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ ، بَلْ إِنِّي أَذْكُرُ لَكُمْ
مَعْنَى عَجِيباً تَدُلُّ عَلَيْهِ هَذِهِ الدَّعْوَةُ : لَوْ قَالَ قَائِلٌ : الدُّنْيَا فِيهَا مُضِلَّاتٌ كَثِيرَةٌ وَفِتَنٌ كَثِيرَةٌ
وَصَوَارِفٌ عَنِ طَاعَةِ اللَّهِ عَدِيدَةٌ فَمَا الَّذِي أَسْلَمَ بِهِ مِنَ الضَّلَالِ وَسُبُلِ الضَّلَالِ لَا حُدَّ لَهَا
وَلَا عَدَّ ؟ الْجَوَابُ فِي هَذَا الدَّعْوَةِ الْمُبَارَكَةِ وَلَكِنْ بِفِقْهِهَا وَحُسْنِ دَعَاءِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ ، فَالسَّلَامَةُ مِنَ الضَّلَالِ كَمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ هَذِهِ الدَّعْوَةُ بِأَمْرَيْنِ : الْأَمْرُ الْأَوَّلُ
الِاتِّجَاءُ الصَّادِقُ إِلَى اللَّهِ ﴿أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي فَأَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا
يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ﴾ التَّجَاءُ صَادِقٌ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَالْأَمْرُ الثَّانِي أَنْ
تُجَاهِدَ نَفْسَكَ عَلَى تَحْقِيقِ مَا خُلِقْتَ لَهُ وَتَأْمَلَ هَذَا فِي التَّوَسُّلَاتِ الَّتِي بُدِئَتْ بِهَا الدَّعْوَةُ ﴿
اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ﴾ الْإِنَابَةُ هِيَ
الرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ بِفِعْلٍ مَا أَمَرَ وَتَرَكَ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ ، فَهَذِهِ أُمُورٌ يَتَوَسَّلُ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ بِهَا
لَكِنْ مَتَى يَتَوَسَّلُ بِهَا ؟ بِمُجَاهَدَةِ نَفْسِهِ عَلَى تَحْقِيقِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ تَعَلُّمُهَا وَالْقِيَامُ بِهَا
وَيُجَاهِدُ نَفْسَهُ عَلَى الْقِيَامِ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ تَعَلُّمُهَا وَالْإِيمَانُ بِهَا يُجَاهِدُ نَفْسَهُ عَلَى حُسْنِ
الصِّلَةِ بِاللَّهِ وَالاعْتِمَادُ عَلَيْهِ وَتَفْوِضُ الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَيْهِ جَلَّ وَعَلَا فِي كُلِّ شَأْنٍ وَجَمِيعِ
أَحْوَالِهِ فِي أُمُورِهِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، يُجَاهِدُ نَفْسَهُ دَائِماً عَلَى الْإِنَابَةِ ﴿وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ

﴿ الإِنَابَةُ الَّتِي هِيَ الرَّجُوعُ إِلَى اللَّهِ وَكُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَاءٌ وَعِنْدَ أَدْنَى خَطَأٍ أَوْ أَوَّلِ تَقْصِيرٍ يُجَاهِدُ نَفْسَهُ عَلَى الرَّجُوعِ وَالْإِنَابَةِ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، يُجَاهِدُ نَفْسَهُ عَلَى الْإِخْلَاصِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَحَرَكَاتِهِ وَسُكُنَاتِهِ وَيَتَوَسَّلُ إِلَى اللَّهِ بِهَذَا الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَهَذَا الْإِيمَانِ يَتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يُنَجِّيَهُ مِنَ الضَّلَالِ وَانْظُرْ إِلَى سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ — صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ — يَدْعُو بِهَذِهِ الدَّعْوَةَ يَقُولُ : ﴿ اللَّهُمَّ لَكَ أَسَلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أَنْبَتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي فَأَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ ﴾ . تقولُ أُمُّ سَلَمَةَ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا — : كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — يَا مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قَلْبِي عَلَى طَاعَتِكَ قَالَتْ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ إِنَّ الْقُلُوبَ لَتَتَقَلَّبُ ، قَالَ : ﴿ مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ فَإِنْ شَاءَ أَقَامَهُ وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ ﴾ . فَالْعَبْدُ يَحْتَاجُ التَّجَاءُ صَادِقٍ إِلَى اللَّهِ وَصِدْقٍ مَعَ اللَّهِ فِي دُعَائِهِ وَسُؤَالِهِ مَعَ مُجَاهِدَةٍ لِلنَّفْسِ فِي تَحْقِيقِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَتَأَمُّلٍ فِي هَذِهِ الدَّعْوَةِ ذِكْرَ النَّبِيِّ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — لَا سَمَ لِلَّهِ — الْحَيِّ — مُتَوَسِّلًا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ بَأَنْ يُنَجِّيَهُ مِنَ الضَّلَالِ لِيُتَدْرِكَ مِنْ خِلَالِ ذَلِكَ بِأَنْ يُؤْمِنَ الْعَبْدُ بِهَذَا الْأَسْمِ الْعَظِيمِ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ حَيَاةِ الْقُلُوبِ وَنَجَاتِهَا مِنَ الضَّلَالِ وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الْوَسَائِلِ الْمُقَرَّبَةِ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَلَكِنْ بِتَحْقِيقِ الْإِيمَانِ بِهَذَا الْأَسْمِ وَفَهْمِ دَلَالَتِهِ وَالْقِيَامِ بِمَا يَقْتَضِيهِ مِنْ عِبَادِيَّةٍ وَذُلٍّ وَخُضُوعٍ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى .

أَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَوَلَّانا أَجْمَعِينَ بِتَوْفِيقِهِ وَأَنْ يُصَلِّحَ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا وَأَنْ يُصَلِّحَ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا وَأَنْ يُصَلِّحَ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا وَأَنْ يَجْعَلَ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ وَالْمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا ذُنُوبَنَا كُلَّهَا دِقَّةً وَجِلَّةً أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ سِرَّهُ وَعَلَنَهُ وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا مَا قَدَّمْنَا وَمَا أَخَّرْنَا وَمَا أَسْرَرْنَا وَمَا أَعْلَنَّا وَمَا أَصْرَفْنَا وَمَا هُوَ أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَسْأَلُهُ جَلَّ وَعَلَا لَنَا أَجْمَعِينَ الْهُدَى وَالسَّدَادَ

والتوفيق والرشاد وأن يُزيّننا بزيّنة الإيمان وأن يجعلنا هُداةً مُهتدين ، وأسأله تبارك وتعالى
بأسمائه الحسنَى وصفاته العُلى أن ينصُرَ إخواننا المستضعفين في كلّ مكان وأن يكون لهم
حافظاً ومؤيداً وناصرًا ومعيناً ، وأسأله جلّ وعلا أن يكفّ بأسَ الذين كفروا عسى الله أن
يكفّ بأسَ الذين كفروا والله أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلاً ، وأسأله تبارك وتعالى أن يدرأ كيدَ
أعداءِ الدّين في نُحورِهِم ، اللهمَّ إنَّ نجعلُك في نُحورِهِم ، ونعوذُ بك اللهم من شُرورِهِم يا
ذا الجلال والإكرام يا حيُّ يا قيّوم ، وآخرُ دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله
وسلم على نبيّنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

قام بتفريغها

حيدر